

مكن صادق بل على سند وهمي او على مبالغة لا غير وقد اشاع هذه الارجيف
بعض المشدقين بمعرفة أسرار هؤلاء الاقوام وتمويهاً على عقول الاغراب
وقد سألت بذاتي يزيداً مُطعماً كل الاطلاع على أخبار قومه واستطلعت حقيقة
الامر في ذلك فقال: « كان اخي من المترددين الى جبل سنجار كل التردد فأتته
قائلاً: أصحيح انه يوجد عندنا في الجبل مكتبة نفيسة عظيمة فيها كتب عديدة جليلة
قديمة على ما يرويه نصارى هذه الاصناف. قال: اني انا ايضاً قد سمعتُ مثلك بهذه
الاجبار فاستخبرتُ عن ذلك صديقاً كان مقرّباً من الشيخ فقال: انه لا يوجد إلا
سنة او ثمانية كتب محفوظة في غرفة خصوصية ومفتاح قفاها عند الشيخ وقد أقيم على
بابها حارس يحرسها. وهو يُخرجها في الشهر مرة في ايام القيظ ويشيها لكي لا تنفيا
الرطوبة. ثم يخرونها وتعاد الى محليها. والغاية من هذا التبخير طرد السوس عنها لانها
تكره رائحته ولا يجوز لاحد ان يمك هذه الكتب بيديه إلا الشيخ وابنه وإلا يُقتل
والخلاصة بما تقدم ان ديانة الزيدية هي بمنزلة كشكول لجميع الاديان. او هي
بين الملل والنحل بمنزلة سفينة ايتنا نوح في ايام الطوفان. اذ بها من كل معتقد مقبولاً
او مرذولاً زوجان. او هي في رسمها كقصر غمدان. اذ يُقبل فيها كل ما يدخل في حيز
الحال والامكان. كما يتضح لك ذلك بما نذكره باجلى برهان. وارضح يان. وعلى الله
التكلمان

(البقية تأتي)

السفر العجيب الى بلاد الذهب

للاب ابل دغو البسوي (تابع لما سبق)

الفصل السادس

في التجارة

ان مدينة نيويوك من ايهج مدن الدنيا واعظمها رونقاً وفخامة وهي قائمة في

بالبحث عن هذه الشئمة واصحاجا وكان قد اعدت مسألة لدرجها في المشرق لكن لما وقف على ما
كتبته في زيارته اياي اسك من الكتابة ورفع الي ما ابتداء بتدوينه. وعليه فاني كل مرة اخذت
عنه شيئاً نوّمت به قياماً بواجب الشكر وارجاع الفضل لذويهِ

جزيرة على مصب نهر الهدسون ونظراً لترايد اتساعها ضاقت الجزيرة عن استيعابها فددت الى الناحية الشمالية خطوطاً طويلة من المنازل يفصلها عن بعضها شوارع متآزية وتقطعها زوايا مستقيمة مما يجعل لها مشهداً يشبه رقعة الشطرنج العظيمة . وقد تشيدت حول المدينة الاصلية مدن أخرى عديدة ولكنها ما لبثت ان اتصلت بها بحيث صارت معها مدينة واحدة كبيرة لا تقل مساحة سطحها عن ١١٠ كيلومترات مربعة . وفي هذه المدينة مليونان من السكان تراهم دائماً في تراحم وتصارع الى اشغالهم . اما الشوارع فلا تزال تجري فيها ليلاً ونهاراً العربات والحوافل (أمنيوس) وعجلات التراموي الكهربائي كما تمر ايضاً مركبات السكك الحديدية فوق المنازل

على ان التريب الذي يشاهد هذه المناظر يقف عندها مبهوتاً حائراً بينا ان الاميريكي لا يتأثر منها مطلقاً لكونه قد ألف رؤيتها واعتاد مشاهدتها كل يوم . وجميع الحابرات تجري في نيويورك اماً بالتلغراف او بالتليفون ولذلك تمدت الاسلاك المدودة في الجور لهاتين المصلحتين بالالوف ولا تكاد تدخل فندقاً الا تجد فيه كل ما يلزم للمخاطبة مع اقصى اطراف المدينة . وابلغ من ذلك انك تستطيع وانت في حجرتك ان تستدي ما شئت من عربة او شرطي او غيرها حتى اذا احتجت الى رجال المطافي ايضاً امكنت ان تأتي بهم في الحال . نعم ان في الشوارع الكبيرة من نيويورك قصوراً عظيماً من الحجر المانع (غرايت) او الرملي الاحمر او الرخامي الابيض الا ان فيها ايضاً كثيراً من البيوت الخشبية . وانما يختار الاميريكيون بناء منازلهم بالاشباب لانها اوفر اقتصاداً وانخف ثقلها فيسكتهم عند الاقتضا . ان يتقلوها من مكان الى آخر مجرورة بالقواطر الكهربائية . وحوادث الحريق كثيرة في اميركة ولكن ماذا يهم الاميريكيين اذا احترقت منازلهم الخشبية طالما انهم قادرون على ان يجددوا بناءها على طرز أجمل وأوفر ملاءمة للصحة . ثم انه لا يخفى ان الاختراعات في اميركة ما زالت تتوالى وتتاقب واللاحق منها يقوض السابق فاذا كانت تؤول الى جر منعم لمخترعها فقد ادركت غايتها القصوى وغرضها الاسمي وكل ما تبقى يُبد أمرأ ثانوياً قليل الاهمية . على أن كل من باشر عندهم أمرأ ولم يصب فيه نجاحاً لا يتنط ولا ييأس بل يستأنفه مرة أخرى بعزم اشد وطرق أجدد فاذا حبط مساهم نهض ايضاً بهمة اعظم واذا قدر له عدم النجاح هذه المرة فانه يأمل التوفيق في مرة أخرى ولا يزال هكذا حتى يستتب له الفوز

بالرام او الجِرمان التام . والمزاحمة في اميركة اعظم بكثير عما نتصوره بل انها تجري على وجه لا يعرفها الاوربيون فكثيراً ما يتفق ان تتعاون الشركات المتنافسة وتساعد بعضها على النجاح ولكن على امل ان تسمى بخراب بعضها في المستقبل
ومن يخرج الى السهول الاميركية يرى اسلاك الحديد ممتدة بعضها حذاء بعض ويشاهد المحطات متقاربة متدانية . وللسافر ان يختار ركوب السكة التي يشاء ويريد .
واما الحكومة فانها لا تقتصر على بسط حمايتها على هذه الشركات المتنافسة بل انها تخصص رواتب معينة لكل واحدة منها

وكانت الشمس وقتئذ قد اشرقت مرسة اشعتها الذهبية على سقوف المنازل .
واخذ الناس يخرجون من بيوتهم وينبثون في شوارع المدينة . فمنهم من يركب العربات ومنهم من يتراحم عند محطات السكك الحديدية بينما كانت قواطرها المعلقة في الجو تسمع اصوات صفيها الحادة والتطارات المتحركة بالكهربائية او المجرورة بواسطة الحيل تنقل جماعة القملة الى العامل التي فيها يشتغلون . وكان اصحاب الخانات قد بادروا الى فتح حوائطهم وبعضهم كانوا قد فتحوها مدة الليل بطوله فكان القملة يمرُّون عليها ويتناولون قداماً من الشراب وهم وقوف ثم يتأنفون سيرهم بسرعة

وكان «المستر نيب» قد نهض من النوم في اليوم المذكور وهو فرح جذلان لانه كان قد كسب ارباحاً غير قليلة من البضائع التي اتى بها من سان فرانسيسكو . والمستر الموما اليه ممتدل القامة اسود الشعر خفيف الشارين وكان قد اطلق شعر عارضيه تبعاً لعادة الاميركيين وحلق شعر ذقنه . أما القذال منه فكان مسطحاً . ولكن لا بد ان تعلم ان المستر نيباً هذا كان قبلاً من لابس الطربوش الاحمر وقد اقام في لبنان وولد فيه . ولما بلغ السنة العشرين من عمره ترك الجبل قاصداً الديار الاميركية حيث مضى على اقامته فيها نحو عشرين سنة وبما انه كان موقفاً في اشغاله فلم يحظر له بال فكر العودة الى وطنه . وكان في بده امره قد ذاق من العيش امره حتى اُجِأتْه الحال الى التكثف فضاقت الدنيا في وجهه وعزم ان يرجع الى وطنه لو أُتِبح له ذلك . وبينما هو في ضيقة شديدة يتسرُّه الاستخدام بصفة عامل عند احد المعدنين في مناجم كاليفورنية فاقبل على الشغل بانصباب فاجبه معلمه وجعله شريكاً له في العمل . ثم ما لبث معلمه ان توفي فورث ثروته وبقي وحده مالكاً لتلك المناجم المكتشفة . وبما انه كان اقربن بشابة

اميريكية اتخذ مقامه في مدينة سان فرانسيسكو لانها مركز الاشغال ومحور الاعمال. هذا من حيث احواله المالية واما من حيث الديانة فكان قد اعملها كل الاممال وانحوط في سلك احدى الشيع البروتستانية. وما كان انحراطه فيها ليقينه بصحة عقيدتها بل لانه وجد فيها مصلحته وفائدته ولا يخفى ان المصلحة او اهوا. القلب هي العامل الوحيد الذي ينكب بكل رجل متراخ عن سلوك الطريق القويم

سبق القول ان المتر نسيب كان في صباح اليوم المذكور فرحاً جداً وقد خرج من الفندق الذي كان نازلاً فيه قبل موعد خروجه الاعتيادي لانه هم بان يتيم بعض حسابات له قبل سفره الى سان فرانسيسكو. وبينما كان يسرع الخطى الى محيف قرب نيويورك اذ سمع وهو ذاعب صوت شخص ينين ويتوجع. فوقف واصاخ سماً فاذا بالصوت قد انتطع فظن ان اذنه قد خدعتة. وهم بان يستأف السير ولكنك سمع الصوت مرة ثانية وكان اقوى من المرة الاولى. فوقف واخذ يتفرس في الأدغال التي خرج منها الصوت ثم ازاح اغصانها الملتقة بيده فاشهد بين العليق والاشواك جثة رجل مصفر الوجه رث الثياب متلوث بالغبار والاحمال

فدأ اليه يده فنجته فلم ير فيه علامة حياة ثم أحنى رأسه ووضع اذنه على صدره وطفق يتسمع نحواً من ثانية فلم يسمع لقلبه خفقاناً قاصراً وارتمس وغلب على ظننه ان الرجل ميت

ثم تفرس في وجهه وسائر ملامحه فحظر له انه لبناني لانه لم يكن نسي حياة اللبنانيين الذين عاش بينهم منذ طفولته الى حد العشرين من سنه. وتذكر انه شاهد منهم بالامس عدداً غير قليل كانوا قد وصلوا مع السفينة «مدينة بوردر» فعرفهم من مجرد النظر اليهم. وبما انه أتى هو ايضاً الى اميركة فقيراً وقاسى في بدء امره مرارات الشقاء حن قلبه على ذلك الفقير الذي كان يشاهد جثته

ثم انه قش جيوبه لعله يرى ما يؤكد له كونه لبنانياً فلم ير شيئاً فحينئذ حول وجهه ومشى ليخبر رجال الشرطة فلما تحطى الدغل والتفت الى الجثة التفاتة اخيرة وأما ترتجف فظن لازل وهلة ان الريح تتلاعب بالمليق. فحدد النظر قابصر ان الحركة في الجثة فماد على عتبيه وتسمع باذنيه تسمع القلب يخفق خفقاناً خفيفاً. قردد نسيب يوهة وقال في نفسه اذا كنت اذهب لآتي بعمرنة الى هذا المسكين فانه يموت قبل ان

اعود . فالأوفى ان اعمل ما في مكتبي لمساعدته لعل الله ين علي بالنجاة عما هو فيه . ثم اقبل فرك جسمه البارد . وما زال يحمد والياء ويتنازعه حتى تصيب جسمه عرقاً ومع ذلك لم يكل عن الفرك الى ان عاد التنفس شيئاً بعد شيء . للرجل المجهول فصرخ متنهداً وفتح عينيه . ثم انه هتف قائلاً كأنه استيقظ من حلم شنيع : « اتركوني اتركوني . لا ترجعوني الى سرورية » . وهاج بعد ذلك محاولاً التخلص . فرام المتر نسيب ان يهدى روعه ويصكن خوفه فازداد هياجاً وهو يقول : « انهم لاحقون بي رقد قبضوا علي فيا لتعاستك يا فاضل » .

- يا صاح ليس ههنا احد يريد بك شراً

لكن المكين لم يسمع شيئاً من هذا الكلام لان رأسه كان ملقى على الارض وقواه خائرة . على انه كان يجهل اللغة الانكليزية التي تكلم بها محتاصه حينئذ تقدم نسيب الى ميل بالقرب من الحبل واتخذ منه ماء ورشه على جبهة الرجل المجهول الذي بقيت عيناه مطبقتين مع ان لسانه كان يكرر هذه الكلمات : « اتركوني اتركوني . وجسمه يختلج اختلاجاً مرعباً »

أما نسيب فبذل غاية جهده ليزيل عن فاضل خوفه ويرجع اليه صوابه فما استطاع الى ذلك سبيلاً . ولما نفذت منه الحيل خطر له ان ينطق ببعض كلمات عريية لعل هذا المجهول يتأنس بها اذا كان سورياً

وما كاد يخرج فكره الى العمل حتى رفع الرجل رأسه قليلاً وأصاخ باذنه ثم فتح عينيه وحدق ببصره في الشخص الذي يكلمه ثم قال له بصوت متخافت : « بحياة ربك لا تسلمني ولا تخني »

قال المتر نسيب : من أنت ومن اين آت ومن يطلبك !

أما المجهول فتردد برهة ثم قال اخيراً : « اني لبثاني » . وبعد ان استوقف من المتر نسيب شرع يجبره بمكايته

الفصل السابع

سان فرنيكو

بينما كان فاضل يحدث نسياً بقصته كان نسيب يتذكر ايامه السالفة التي فيها اتى

الى الديار الاميركية مدفوعاً بحجة الذهب. وخطر له ما ذاق في فاتحة امره من المشاق ومصاعب الفقر والاحتياج فشفق على فاضل الذي يجمعه واياه وطن واحد واقتصر ان يعلم رجال الشرطة بامره فيأخذونه الى المستشفى حيث يُعالج فان سُني أُعيد الى وطنه مجاناً وان مات أخذت جسده لكونه غريباً الى المدرسة الطبية فشرحت امام الطلبة

اما فاضل فقرأ على وجه نسيب ما كان يجول في ذهنه من الافكار ثم نهض متناقلاً حتى وصل الى قدميه وانحنى عليه قائلاً: « بحياة الله أخفني ولا تدع احداً يراني »

فحول نسيب رأسه ولم يُجر جواباً. اما فاضل فكرر كلماته السابقة قائلاً: « بحياة الله استرني »

- كيف السيل الى اخفائك وانا غريب وقد جنت هنا لبعض اشغال وانا مسافر اليوم. ولو كان بيتي هنا لكت اقتحهُ لك بكل قبول ولكن ليس لي هنا بيت بل انا مقيم في سان فرنيكو التي تبعد ١٤٠٠ كيلومتر عن نيويورك فمسمع فاضل اسم سان فرنيكو حتى ارتكض قلبه في صدره وصرخ قائلاً لنسيب: « بحياة والدتك ارجوك ان تأخذني معك الى سان فرنيكو. وتأكد انك اذا فعلت معي هذا الجميل لا انتقطع عن خدمتك كل حياتي ». وكان فاضل يقول هذه الكلمات وقلبه يحنق وجسده يرتعش (ستأتي البقية)

آثار شرقية جديدة

كتاب التحفة السنّة باسماء البلاد المصرية

جمع الشيخ الامام شرف الدين يحيى بن المقرئ بن الجيعان

طبع في القاهرة جمة الدكتور ب. موريس سنة ١٨٩٨ صفحاته ٢٧٠

قد اصبحت المكتبة الحديوية منذ تولى ادارتها بعض امثال العلماء المستشرقين كالدكتورين فولرس (K. Vollers) وموريس (B. Moritz) منهلاً للأدب يستقي